العامية في معجم الفرائد
للدكتور إبراهيم السامرائي
Colloquialism in the Lexicon of Al-Fara'id by Dr. Ibrahim Al-Samarrai

أ.م.د. ثائر عبد الحميد جابر

Asst.Prof.Dr. Thaer Abdel Hamid Jaber

الجامعة المستنصرية / كلية التربية/ قسم اللغة العربية

Al-Mustansiriya University /
College of Education / Department of Arabic Language

thairalsodany@gmail.com

ملخص البحث

معجم الفرائد هو مؤلَّف معجمي حديث لشيخنا الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي (رحمه الله) بناه على صورة غير معهودة في التأليف المعجمي، وفي بحثنا المتواضع هذا عرضنا لجانب كبير ومهم منه هو العامية من الألفاظ التي جاءت فيه.

الكلمات المفتاحية: الفرائد – العامي – المعجم

Abstract

Al-Fara’id Dictionary is a modern lexicographic work by our Sheikh, Professor Dr. Ibrahim Al-Samarrai (may God have mercy on him), which he built on an unusual form in lexical writing. In this humble research, we presented a large and important aspect of it, which is the colloquial words that are included in it.

Keywords: Al-Fara’id - colloquial - dictionary

تمهيد

تعد مسألة الفصحى والعامية من المسائل المتجذرة في تاريخ اللغة العربية بل إن قدمها كقدم اللغة نفسها، فتعدد اللغات المحكية أو ما نسميه باللهجات كان ملموسا على نحو واضح من أيام الجاهلية، وبعد مجيء الإسلام وهكذا إلى يومنا الحاضر، وشهدت العلاقة بينهما مواقف عدة بين موافق للعامية أو منكر لها أو من يتخذ موقفا وسطا بين بين.

ولو رجعنا إلى عدد من مؤلفات السلف في تاريخ العربية لا نعدم وجود الألفاظ العامية فيها فهذا ابن خلدون يذكر في مقدمته:

"لما شاع فن التوشيح في أهل الأندلس وأخذ به الجمهور لسلاسته، وتنميق كلامه، وترصيع أجزائه، نسجت العامة من أهل الأمصار على منواله، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية من غير أن يلتزموا فيها إعرابا"[1].

وذكر الجاحظ في البخلاء عددا من المفردات العامية مثل: دهقان، بارصين، جردبيل، شيصان، مقوّر، ملفح.. وغيرها[2].

والمقرر هنا أن ورود مثل هذه المفردات وغيرها كان على نحو قليل جدا بل أن كثيرا من اللغويين قد تجاهلوا تماما العاميّ في مؤلفاتهم التي تختص بعلوم العربية الأساسية وما ورد أعلاه لا يقاس عليه.

(١) مقدمة ابن خلدون: ٧٦١ – ٧٦٢

(٢) البخلاء: ٨٠

ومع بداية القرن التاسع عشر الذي أطلق عليه عصر النهضة أخذت العامية بالظهور على نحو ملحوظ وواسع شمل معظم أرجاء الوطن العربي وأصبح لها دعاة ينادون بها ويحاولون وضع أسس وقواعد للعناية بها.

والمتتبع لهذه المسألة يلمس بوضوح أصابع حركة الاستشراق والمستشرقين، فالمستشرق البلجيكي هنري لمنس (ت١٩٣٧م) يرى أن الفصحى عامل عزلة عن الحركة العامة (يقصد نشاطات الغرب) وحاجزا دون التقدم وأن مستقبل العربية يتوقف على الاتحاد بالمدنية الغربية... لذا يجب أن يُعنى أهل البلاد العربية بلغتهم (المحلية) باعتبار أنها لغة وطنية... ويؤكد على ذلك بقوله: "وليس عندي أدنى شك في أنه أذا جعل التعليم العالي باللغة العربية تنعزل البلاد العربية شيئا فشيئا عن الحركة العامة، إذ تصبح اللغة الوطنية حاجزا منيعا دون مواصلة التقدم"[(١)].

وقد تبنى غيره من المستشرقين فكرة نبذ العربية الفصحى والاعتماد على العامية بدلا عنها، وهذا لا يعني أننا نغمط الجهود العلمية لعدد من المستشرقين وما قدموه في خدمة اللغة العربية من خلال مؤلفاتهم وبحوثهم التي ملأت فراغا علميا ملموسا.

لكن عددا منهم ساهم بشكل مباشر في هذه المسألة من خلال مرافقة دولهم أبّان احتلال الوطن العربي في هذا القرن. ويرى الباحث أن هناك سببا آخر غير مباشر للمستشرقين أيضا له اليد الطولى في انتشار الدعوة إلى العامية يتلخص في قيام مجموعة من اللغويين العرب ممن درسوا على أيديهم وتأثروا بهم غاية التأثر وحملوا أفكارهم إلى بلدانهم العربية ودعوا لها وأشادوا بها وعملوا لتحلّ العامية محل الفصحى ليل نهار[(٢)].

(١) لغة الضاد في معاركها مع العامية: نصر الدين البحرة/ مجلة التراث العربي: ١٣

(٢) ينظر: اللهجات العامية المحلية، العامية عاميات والوالجون حماتها أنماط: د. عدنان الخطيب، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد ٦٦، مصر: ٢٩

ومن هؤلاء عبد العزيز فهمي، فخري البارودي، سعيد عقل، سلامة موسى، لطفي السيد، قاسم أمين، أنيس فريحة، مارون غصن وآخرون[١]، ويعد شيخنا الدكتور إبراهيم السامرائي ممن تأثر بهذه الحركة الممنهجة.

وحملت هذه المجموعة من اللغويين فكرة مفادها أن العامية لغة الشعب وهم العامة والأكثر، ومن حقهم أن يفهموا الآداب والعلوم والفنون، أما متخذو الفصحى فشواذ، والشاذ لا يذهب بالحق كله بل، لا حق له بجانب حق الشعب، وعليه يجب أن تنحى الفصحى لأنها لغة الأقلية التي لا تفرض على الأكثرية مرادها[٢]، فهي لغة السواد الأعظم من الناس والفصحى لغة خاصة الخاصة.

ومن أهم الحجج التي روجوا لها هي: أن للعامية امتيازات أهمها أنها متطورة تتصف بإسقاط الإعراب واعتماد الفصحى معينا لها، فضلا عن أن العامية تعبر عن الحياة بحلاوتها وقساوتها وهذا ما لا تستطيع الفصحى التعبير بطلاقة عنه كما تفعل العامية[٣].

(١) ينظر: الفصحى لغة القرآن: أنور الجندي: ١٨٥ – ١٨٦، وتاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر: نفوسة زكريا سعيد: ٢٠٨

(٢) ينظر: قضايا ومشكلات لغوية، أحمد عبد الغفور عطار: ٢٦

(٣) ينظر: نحو عربية ميسرة: أنيس فريحة: ١٢٢ – ١٢٣

المبحث

المؤلف والمعجم

يعد شيخنا الاستاذ العلامة الدكتور ابراهيم السامرائي (ت٢٠٠١م) من أهم العلماء المحدثين الذين تركوا بصمة مهمة في خدمة اللغة العربية إذ خلف لنا عشرات المؤلفات فيها، وقد غلب على أكثرها مجال التأليف المعجمي، فدرس قديمها وحديثها، مدققا ومصححا تارة، ومضيفا ومؤلفا تارة أخرى، ومن ذلك: دراسات في اللغة، ومباحث لغوية، والتطور اللغوي التاريخي، وفي الصناعة المعجمية، ومعجميات، والدخيل في الفارسية والعربية والتركية، والمعجم الوجيز في مصطلحات الاعلام، ومعجم الفرائد (موضوع البحث)، وكتاب العين للفراهيدي تحقيق مشترك مع الدكتور مهدي المخزومي، والكثير من المقالات المنشورة في المجلات المختلفة... وغيرها[١].

وقبل الولوج في موضوع العامي في معجمه الفرائد كنت قد نسبت إلى أستاذنا الجليل تأثره بالفكر الغربي، لذا أجد لزاما عليَّ أن أقدم ما يثبت ذلك فأقول: إن الأستاذ الفاضل (رحمه الله) كان قد فاز ببعثة علمية إلى جامعة السوربون في باريس عام ١٩٤٨م وحصل على الدكتوراه في فقه اللغة والنحو المقارن عام ١٩٥٦م بإشراف جان كانتينو وشكلي لبلاشير وهما مستشرقان فرنسيان ومن الطبيعي جدا أن يتأثر الباحث بفكر أساتذته من قريب أو بعيد ولا يعد ذلك منقصة أو عيبا كبيرا. والسؤال هنا: هل تأثر الأستاذ السامرائي فعلا أم مجرد قول حاطب ليل؟ الجواب هو مقارنتي لعقيدة الأستاذ رحمه الله قبل السفر إلى فرنسا وبعدها.

(١) ينظر: إبراهيم السامرائي علامة العربية الكبير والباحث الحجة: أحمد العلاونة: ٣٢

قال صديقه ورفيق دربه الأستاذ صبحي البصّام: "كنا نقعد أنا وهو (في مقهى البرازيلية شارع الرشيد في بغداد سنة ٤٥ و٤٦م) فنتفاوض في أمور اللغة، ونتحدث في لغة الجرائد التي كان لها أثر في فساد اللغة العربية، فيختار كل منا لفظة منها ويصلحها وربما عرّجنا على ذكر العلماء القدماء كثعلب والمبرد والسيوطي، فنثني على مساعيهم في خدمة اللغة العربية ثناءً حسنًا"، وبعد أن أتم دراسته في دار المعلمين العالية كان ميله الشديد هو تحري الفصيح من الكلام ونبذ غير الفصيح والعامي في لغة الجرائد[١].

وبعد ذهابه إلى باريس وعودته إلى العراق تبلورت لديه رؤى جديدة تناقض ما كان عليه في شبابه فقال في واقع اللغة المستعمل في الحياة اليومية: "ليس من العلم أن يشمخ العرب في عصرنا عن كل ما هو غير فصيح، ألا ترى أن هذا الذي دعي غير فصيح في مطلع هذا القرن مما أسموه لغة جرائد أو الأغلاط الشائعة قد تحول إلى عربية جديدة معاصرة"[٢].

وهذا القول الجديد يناقض قول صديقه البصام من دون شك، فهو يدعو إلى إعادة النظر في مفهوم الفصاحة القديم والإيتاء بالبديل عنها، كما يرى أن اللغة بقيت سليمة في استعمال الشعراء والكتاب والخطباء وسائر الفصحاء بعد عصور الاحتجاج التي نص عليها أهل اللغة والتي تنتهي عند أوائل العصر الأموي، ففي الوقت الذي أحجم معظم المعجميين عن ذكر الشواهد الشعرية التي تقع خارج عصور الاحتجاج بدءًا من الخليل وانتهاءً بابن منظور، بل وعزوف معظمهم عن ذكر شواهد لشعراء مفلقين أمثال أبي تمام والبحتري وأبي فراس الحمداني والمتنبي وغيرهم، إلا أن شيخنا يعد أول معجمي في نهاية القرن العشرين يخالف سنة التأليف المعجمي فيذكر شاهدا لشاعر قريب العهد منه فقال في مادة (أ ب و):

(١) ينظر: المصدر نفسه: تقديم صبحي البصام للكتاب: ٦

(٢)إبراهيم السامرائي علامة العربية الكبير والباحث الحجة : ٣٣

"الأبوة: جمع أب مثل العمومة والخؤولة... وقد غلبت المصدرية على الأبوة في العربية المعاصرة كما غلبت على سائر هذه الجموع القديمة كالعمومة والخؤولة والأمومة وكلها مصادر في عصرنا غير أنك قد تلقى أحدا يجري على الفصاحة القديمة ولا سيما من الشعراء الذين حافظوا على الموروث القديم كالشاعر أحمد شوقي في قوله:

أمَّة تنشئ الحياة وتبني كبناء الأبوَّة الأمجادِ"[1]

(١) معجم الفرائد: ١٣

المعجم والعامية

بنى أستاذنا معجم الفرائد على ركيزتين مهمتين، هما:

١) الدلالات الحديثة: وهو الجزء المشرق في المعجم الذي يدل على عبقرية المؤلف ونعده صاحب قصب السبق في هذا النوع من التأليف المعجمي، الذي لم نعهد مثله سابقا، وما أحوجنا الآن ومستقبلا إلى مثل هذا الصنيع مواكبة لإيقاع الحياة المتطورة دائما ومثال ذلك قوله في مادة (ب ك ر):

٢) "ابتكر الرجل: أكل باكورة التفاح... وابتكرت الشيء: إذا استوليت على أوله.

تعليق – أقول (الابتكار) إدراك أوّل الشيء وامتلاك أوّله ولعل من هذه (الأوليّة) السابقة جاء (الابتكار) في لغة المعاصرين بمعنى الابتداع أو ما يشبه الاختراع أو نحو من هذا"[١].

وقوله في مادة (س ج م):

"سجمت العين الدمع، والسحابة الماء... وهو قطرات الدمع وسيلانه، ودمع ساجم ومسجوم، ومطر ساجم، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم، إذا انسجم أي: انصبّ تعليق – هذا هو (الانسجام) في حقيقته، وقد أوشكنا في اللغة المعاصرة أن نقصره على الاستعمال المجازي ونريد به الاتفاق والمشاكلة فنقول: الألوان منسجمة، أي متوائمة متفقة، ونقول: الرجل منسجم مع أصحابه، أي: متفق ملتئم مشاكل لهم"[٢].

(١) معجم الفرائد: ٣٥

(٢) المصدر نفسه: ١٠٥

وقوله في مادة (ق ط ع):

"الأقطع: مقطوع اليد... والقطاع: صرام النخل... ورجل مقطع: لا ديوان له، تعليق – أقول: في هذه المادة فوائد شتى منها ما نحن نستعمله وهو صحيح جيد كالمقاطعة للأرض تقطعها الدولة في العراق قبل العهد الجمهوري إلى نفر من الناس بأجر يُتفق عليه، ومنها ما نحن محتاجون إلى استعماله في حياتنا المعاصرة على أننا لا نجد في هذه الفوائد الفرائد (القطّاع) لجانب من الشيء أو الأرض كقولنا: القطاع الزراعي للأرض المزروعة ولمن يعمل فيها كما يقال: القطاع الصناعي للعاملين في الصناعة مثلا. ولم نجد أيضا (القاطع) الذي يرد في العربية المعاصرة فيقال مثلا: قاطع الرصافة، أو قاطع الكرخ لجهات معينة في بغداد، أو القاطع الشمالي للأرض وما فيها في الجزء الشمالي"[1].

٣) العامي:

وهو الجانب الأهم والأكثر إيرادا في معجم الفرائد، فقد ذكر المؤلف الألفاظ العامية في أكثر من نصف مواد معجمه البالغة (٨١٢) مادة، ومن يطلع على المعجم يجد أن الدكتور رحمه الله يصنف المفردات فيه على أقسام عدّة (العاميّ، الفصيحة المعاصرة، فصيح عامي، الكلم القديم، الألسن الدارجة).

ويقصد بالكلم القديم: المفردات العربية الفصيحة التي ذكرت في متون المعجمات واستشهد على فصاحتها، أما الفصيحة المعاصرة فأغلب الظن أنه يريد بها لغة المثقفين والكتاب والأدباء من دون القيود والضوابط التي وضعت للمعجم، أما الفصيح العامي فيقصد به اللفظة الفصيحة القديمة التي تستعمل لحد الآن، أما العامي أو الالسن الدارجة فالمقصود به العامية المعروفة في مختلف أرجاء الوطن العربي.

(١) معجم الفرائد: ١٥٦

ومثال ذلك قوله في مادة (ب ه ق):

"البَهَقُ: بياض دون البرص... أقول: وهذا من الكلم الفصيح القديم الذي لا نعرفه في عصرنا إلا في الألسن الدارجة"[١].

وقوله في مادة (ك د د):

"الكدَّ: الشدة في العمل وطلب الرزق، والالحاح في محاولة الشيء... تعليق: الكدّ من الكلم الذي نجده في العربية المعاصرة وكذلك في الألسن الدارجة"[٢].

وقوله في مادة (ك ف ف):

"كففتُ الثوبَ: أي خطت حاشيته، وكفاف الثوب: نواحيه... أقول: وهذا معروف لدى من باشر حرفة الخياطة وهو فصيح عاميّ"[٣].

وقد نصت معجمات الأقدمين على دلالة ما ذكره المؤلف في معجمه فقال ابن منظور في مادة (ب ه ق):

"البَهَقُ: بياض دون البرص"[٤].

وقال في مادة (ك د د):

"الكدّ: العمل والسعي والكسب... وهو اكتساب بمشقّة"[٥].

(١) معجم الفرائد: ٣٦
(٢) المصدر نفسه: ١٦٠
(٣) المصدر نفسه: ١٥٩
(٤) لسان العرب: ٢/ ١٦٨
(٥) لسان العرب: ١٣/ ٣١

وقال في مادة (ك ف ف):

"كففت الثوب: أي خِطت حاشيته، وهي الخياطة الثانية بعد الشلّ"[١].

والملاحظ مما سبق تطابق الدلالات بصورة تامة سوى ما ذكره المؤلف من توصيفات أخرى نرى أنها غير دقيقة، ونحن نعلم أن كثيرا من مفردات العامية ذات جذور فصيحة وهو صنيع المؤلف في معجمه إذ اعتمد على الجذر الفصيح لجميع مفرداته العامية لكنه وصفها بالعامية أو على الألسن الدارجة ولا نعلم كيف بنى حكمه عليها، ففي العراق مثلا نقول: فلان أبهق أو فيه بهاق مع تبديل صوت القاف أحيانا بصوت (الكاف) للسهولة وهو أمر شائع في الجزيرة العربية، ونقول فلان (ايْكد) بالعامية و(كادود) وغيرها أيضا للتسهيل وهكذا في (كفف) نقول: (كفّ الثوب)... وهكذا.

وكان الأولى بأن يقول مثلا: العامة تكسر الحرف أو تفتحه أو تضمه خلافا للفصحى أو تضيف حرفا معينا فيكون بذلك أنفع وأصوب. وقد صنع ذلك في مواضع قليلة. وأمثلة ذلك قولـــه في مـــادة (ج ل ح):

"الجَلَح: ذهاب الشعر من مقدَّم الرأس، والجلحة: انحسار الشعر ومنحسره عن جانبي الوجه..

أقول: بقي شيء من هذا الأصل في العامية العراقية وهو (الجَلْحَة مع تحول الجيم الفصيحة إلى جيم مشوبة بالتاء على نحو الجيم الأعجمية)"[٢]، وهذه ظاهرة مطردة في العامية العراقية بقلب الجيم الموحدة إلى جيم مثلثة[٣].

(١) المصدر نفسه: ١٣/ ٨٩

(٢) معجم الفرائد: ٥٤

(٣) ينظر: معجم اللغة العامية البغدادية: جلال الحنفي: ١٧

وقوله في مادة (ح د ج):

"حدجة ببصره: إذا أحدّ النظر إليه، أو نظر إليه نظرا يرتاب به الآخر ويستنكره.. أقول: وليس شيء من هذا الفعل في العربية المعاصرة لكنه جاء مقلوبا (دحّج) في بعض الألسنة الدارجة في العراق وقد يكون بإبدال الجيم كافا ثقيلة، ومن المفيد أن ننظر في الفعل العاميّ ونصل بينه وبين الفصيح (حدّق) الذي قلب في عامية أهل الموصل في العراق إلى (دحّق)"[١].

وقد تتبع جذور عدد من المفردات من الفصحى وصولا لاستعمالها في العامية نحو قوله في مـــادة (ج ف أ):

"جفأ البُرمة في القصعة جَفْأ: أكفأها، أو أمالها فصبّ ما فيها... أقول: إن مادة (جفأ) بهذه الدلالة معروفة في العامية العراقية بالجيم الأعجمية وهي الشين المشوبة بتاء لا الجيم العربية، ولعل هذا دليل على أن هذا الصوت في طائفة من الكلم العامي في العراق وبلدان الخليج هو صوت قديم تغيّر في نطقه الحديث، فقد يكون من أصل القاف وقد يكون جيما"[٢].

وقوله في مادة (ج ن ب):

"الجنب: القرب.. تعليق: لم يبق في العربية من الجنب والجانب إلا الجهة والناحية، كأن تقول: جلست إلى جنب فلان أو إلى جانبه، أما معنى (القرب) هذا فربما وجدنا في العامية العراقية في قولنا (يم فلان) بمعنى: قربه، إن كلمة (يم) هي بعد إبدال الجيم ياءً، والنون ميما والباء ميما ثم إدغام الميم في الميم وأصلها (جنب)"[٣].

(١) معجم الفرائد: ٦٢

(٢) المصدر نفسه: ٥٣

(٣) المصدر نفسه: ٥٥

وقوله في مادة (ح ر ج):

"الحَرَجة: الغيضة لضيقها، وقيل الشجر الملتفّ... تعليق: (الحِرْج) بمعنى الوَدَعَة تحولت في العامية العراقية الجنوبية لدى أهل القرى إلى (حِرز) بالزاي، والإبدال بين الجيم والزاي معروف والحرز في عامية هؤلاء القرويين: ودع أو قلادة من خرز أو خيط يُشد في رقبة الصبي يُتخذ رقية يدفع الألم أو المرض أو سائر الأعراض"[١].

كما نص المؤلف على ألفاظ عدة بأنها عامية وضبطها ضبط المعجمات العربية السابقة وجاءت كما هي على الألسن لكنه ينسبها إلى العامية من دون مسوغ علمي حتى وإن استعملت في مدينة أو طائفة معينة، ومن ذلك قوله في مادة (ب ط ط):

بط الجرح وغيره يبطه بطًا: إذا شقَّه، والمبطَّة: المبضَع، وبططت القرحة: شققتها. أقول: والبط بهذا المعنى للجرح والقرحة من مألوف استعمال أهل القرى الجنوبية في العراق ولا نعرفه في الفصيحة المعاصرة.

والبط بهذه الدلالة جاءت بنصها عند الأقدمين قال الجوهري: "بططت القرحة: شققتها[٢]. وقال ابن منظور: بط الجرح إذا شقّه والمبطة المبضع، وبططت القرحة: شققتها[٣].

والأمر نفسه في قول المؤلف في مادة (ش خ ل):

"شَخَل الشرابَ يشخلُه شخلًا: صفّاه بالمِشخلة... أقول: وليس لنا شيء من هذه المادة في العربية المعاصرة، ولكننا نجدها في عربية أهل القرى في العراق"[٤].

(١) المصدر نفسه: ٦٣

(٢) الصحاح: ٣/ ٦٩٠

(٣) لسان العرب: ٢/ ١٠٣

(٤) معجم الفرائد: ١١٦، وينظر: لسان العرب: ٨/ ٣٧

وهذا القول والمعنى قد ورد عند ابن منظور بقوله: "شخل الشراب: صفاه، وشخله: بزله بالمشخلة، والشخلُ: التصفية، والمشخلةُ: المصفاة"[١]

ولو قلت افتراضا اننا قمنا بعمل عصير للعنب أو غيره وبعد عصره قمنا بشخلهِ لاستخراج البذور أو غيرها فهل هذا يعني أننا جانبنا الفصحى؟.

وهكذا القول في مادة (س ل ت):

"سلت المِعَي يسلِتهُ سَلْتًا: أخرجه بيده، وانسلت عنّا: انسلَّ من غير أن يُعلم به.

أقول وليس شيء من هذا نعرفه في الفصيحة المعاصرة، لكننا نجده بهذه الدلالة في العامية العراقية"[٢].

وبهذا فإن هذه المفردات وغيرها وإن حصر استعمالها في أماكن معينة أو عند مجموعة معينة فلا يخرجها عن الفصحى ويجعلها عامية.

وفي هذا الشأن وهم المؤلف في ضبط أو نطق عدد كبير من الألفاظ التي أوردها ونصّ على أنها عامية وهي ليست كذلك، نحو قوله في مادة: (س و ع، س ي ع):

"قالوا: ساعت الإبل سوعا: ذهبت في المرعى وانهملت: وأسعتها: أهملتها. تعليق: ومن كلام العامة في عصرنا: ساع فلان وهو سايع، أي أهمل نفسه وأهمله غيره، فصار يسعى على غير قصد"[٣].

(١) لسان العرب: ٨/ ٣٧

(٢) معجم الفرائد: ١٠٨ – ١٠٩ ، وينظر: لسان العرب: ٧/ ٢٢٥

(٣) معجم الفرائد: ١١١، وينظر: الصحاح: ٣/ ٧٥٩

والمعروف أن العامية تقول: (صاع وصايع) بإبدال السين صادا في قضية صوتية معروفة وهي وجود العين المجهورة فتبدلت السين إلى صاد وقد ذكرت المعجمات ذلك أيضا في موضعين[١].

وقوله في مادة (ص ق ع):

"صقع رأسه: علاه بأي شيء يكون في يده وضربه ببسط كفِّه، أقول: وهذا أيضا من الكلم العاميّ في عصرنا"[٢].

والعامة تقول (صكع) بقلب القاف كافا وهو كثير في العامية كما هو مقرر[٣].

وقوله في مادة (ل ب د):

"لَبَدَ بالمكان يلبُد... أقام به ولزق... أقول: ولا نجد في الفصيحة المعاصرة شيئا من هذا، ولكننا نجد في لغة أهل القرى الجنوبية في العراق مثلا الفعل (لَبَد) أي اختبأ، يقال لَبَد الحراميّ"[٤].

وعامية الجنوب لا تستعمل الفعل الفصيح (لَبَد) بالتحريك بالفتحات، إنما يقولون (لِبَدْ) بكسر اللام وسكون الدال ويقولون في فعل الأمر: (اِلْبِد) بكسر الهمزة، والفصحى تنطقه: (أَلبِد) بفتح الهمزة[٥].

(١) ينظر: لسان العرب مادة (س ي ع): ٧/ ٣١٨ ومادة (ص ي ع): ٧/ ٣١٨

(٢) معجم الفرائد: ١٢٤، وينظر: لسان العرب: ٨/ ٢٦٠

(٣) ينظر: معجم اللغة العامية البغدادية: ٢٥ – ٢٦

(٤) معجم الفرائد: ١٦١

(٥) ينظر: لسان العرب: ١٣/ ١٥٩

وقد يذكر المؤلف رحمه الله دلالات جديدة عامية لم يذكرها المعجميون من قبل نحو قوله في مادة (ز ت ت):

"يقال: زتّ المرأةَ أو العروس زتًّا: زينها، وتزتّت هي: تزينت وتزتّت للسفر: تهيأ له. أقول: وليس في عربيتنا الفصيحة هذا الفعل، غير أن في العامية الجنوبية العراقية شيئا من هذا الفعل، فيقال: زت الرجل صديقه أو ولده بمعنى صاحبه وقاده في مسيرة معلومة"(١).

وجاء في اللسان: "زت المرأة أو العروس زتًّا: زينها... وتزتَّت للسفر: تهيأ له، وأخذ زتته للسفر أي جهازه"(٢).

فالدلالة الجديدة هي: مصاحبة المسافر، أي إيصاله إلى منطقة معينة لغرض السفر المعلوم، وأضيف إلى هذا أن أهلنا في الموصل يستعملون الفعل (زتَّ) بمعنى (رمى) فيقال: زتّ ما بيده أي رماه.

وقال في مادة (ز ع ل):

"الزّعلُ: كالعَكز من المرض... والزَّعل: النشاط... أقول: وليس من وجهٍ بين (الزعل) وهو المرض، وهو شبه رِعدة تأخذ المريض أو الحريص على الشيء، وكأنه لا يستقر في مكانه من الوجع أو الحمّى التي يصحبها السعال والصّداع وبين (الزَّعَل) في معناه العاميّ المعروف، كما أنه ليس من صلةٍ بين (الزّعل) بمعنى النشاط و(الزّعل) بمعناه العامي الدارج، إن الفعل (زعل) بمعناه العامي في الكلام الدارج يعني شيئا من عدم الرضا مع ابتئاس وازدراء وغضب وسخط، وقد يبدو آثار ذلك على أسارير الوجه من العبوس وتقطيب الجبين للرجل (الزَّعلان) كما في كلام العامة"(٣).

(١) معجم الفرائد: ٩٩

(٢) لسان العرب: ٧/ ١٤

(٣) معجم الفرائد: ١٠٠

وهذه الدلالة خاصة بالعامية فقط ولم ترد عند المعجميين[١].

وقوله في مادة (ز ل ف):

"زلف إليه وازدلف وتزلّف: دنا منه، وأزلف الشيءَ: قرّبه... أقول: إن الفعل (زلف) في لغة أهل القرى الجنوبية في العراق يفيد الابتعاد قليلا أو الميل إلى جهة من الجهات، كأن يقول الرجل إلى ولده: ازْلِف عن الطريق، أي ابتعد قليلا أو تنحَّ"[٢]. ولم يأتِ في معجمات السلف في الفعل (زلف) إلا دلالة القرب ولا وجود لمعنى الابتعاد مطلقا[٣].

كما ضم المعجم مفردات عامية لعدد من أقطار الوطن العربي ويبدو أن المؤلف قد سمعها في أثناء حلّه وترحاله في هذه الأقطار، ويرى الباحث أن ذكر مثل هذه المفردات لا قيمة له؛ لأن العامية مختلفة من بلد إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى، بل تجتمع أحيانا أكثر من عامية في المدينة الواحدة أو الحيّ الواحد، وهذه العاميات مختلفة الملامح وغير مرتبطة بنظام معين نظرًا لوجود الفوارق الثقافية الكثيرة وعدم الاصطلاح على أحدها، ولو افترضنا أن الدول العربية توافقت على لغة عامية بعينها فهل سينجح ذلك؟ وهل ستشهد استجابة لها أو ستخلد مستقبلا؟ هذا من المحال فيما نعتقد.

ومن أمثلة ما ورد في المعجم من العاميات غير العراقية قوله في مادة (ج ر و):

"الجرْو والجِرْوة: الصغير من كلِّ شيء حتى من الحنظل والبطيخ والقثّاء والرمان والخيار والباذنجان. أقول: وهذه المادة القديمة معروفة في عامية أهل الجزائر في عصرنا، فالجرو والجروة عندهم شيء من صغار القثاء"[٤].

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (ز ع ل): ٧/ ٣٣

(٢) معجم الفرائد: ١٠٠

(٣) ينظر: لسان العرب: مادة (ز ل ف): ٧/ ٤٩ – ٥٠

(٤) معجم الفرائد: ٥٣

وقوله في مادة (ح ص ب):

"الحَصَبُ والحصبة والحصباء: الحجارة والحصى، وأرض حَصِبة ومَحْصَبة: كثيرة الحصباء... ومن المفيد أن أشير إلى أن الحصباء ليس لها وجود في العربية المعاصرة، بل إن الحصى هو المعروف المتداول، غير أن عامة اللبنانيين والسوريين يستعملون (البحص) لإفادة الحصى وهو من غير شك مقلوب (الحصب) في العربية الفصيحة"[١].

وقوله في مادة (ث ل ل):

"الثلّة: الجماعة من الناس، أقول: لقد عرض الإبدال للثاء فصارت شيئا من طائفة الألسن الدارجة وربما جاءت من المصريين وشملت غيرهم"[٢].

ومن الجدير بالذكر أن كثيرا من المفردات العامية قد هجرت وقلّ استعمالها إلى حدٍّ كبير فأصبحت بحكم المماتة لا ينطقها إلا نفر ضئيل من كبار السن ولعل السبب في ذلك التطور الذي طرأ على الحياة بأشكالها كافة فلم نعد نسمع كلمات مثل: (البتيّة) بمعنى ضرب من عباية غليظة أو (السِّلاب) وهي ثياب المأتم السود، و(المطرخِم) في عامية أهل بغداد وتعني الممتلئ من كسل وتراخٍ، و(العِدّان) بمعنى الزمان[٣]...

وهكذا بعد أن عرضنا للألفاظ العامية التي جاءت في معجم الفرائد نرى أن الأولى اطلاق تسمية أخرى على هذا المؤلف، فلو أطلق عليه مثلا: (الفرائد من الألفاظ العامية) لكان أصدق للواقع شأنه في شأن غيره من المؤلفات في هذا الميدان كمعجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية للدكتور أحمد تيمور ومعجم اللغة العامية البغدادية

(١) المصدر نفسه: ٦٦

(٢) المصدر نفسه: ٤٦

(٣) ينظر: معجم الفرائد: ٢٨، ١٠٨، ١٢٩، ١٣٨

للشيخ جلال الحنفي أو ينظم معجمه على وفق صنيع الشيخ أحمد رضا في قاموس رد العامي إلى الفصيح... وغيرها.

الخاتمة والنتائج

بعد انتهاء هذا البحث جاء دور الخاتمة التي تضمنت نتائج أهمها:

١) يعد هذا النوع من التأليف مخالفا لسنن التأليف المعجمي عند السلف بدءًا من العين وصولا إلى تاج العروس القائم على العزوف عن إدراج ألفاظ الحياة اليومية والاقتصار على مفردات العربية التي نطق بها فصحاء العرب وممن يوثق بفصاحتهم، وما خرج عن هذا الأمر كمعجم الفرائد يعد أمرا غير مسبوق.

٢) عدم تطابق اسم المؤلَّف (معجم الفرائد) مع المتن بحسب رؤيتنا إذ لا يحوي المعجم على فرائد مهمة ونادرة ممكن أن يصدق عليها هذا المسمى والأولى كما نرى أن يحمل مسمى آخر.

٣) إن جميع اللغويين ومنهم شيخنا الجليل الذين نادوا بقبول العامية نطقا وكتابة وتبنوا ضرورة دخولها مع الفصحى جنبا إلى جنب إنما كان ذلك كله باستعمالهم اللغة العربية الفصيحة في دعواهم وهذا أمر مثير للدهشة والغرابة وكأنهم بذلك يخالفون مرادهم ويؤكدون من دون أن يشعروا أن البقاء للفصحى مستقبلا.

وبعد فإن ما ذكرناه من ملاحظ جاءت في ضوء البحث المعجمي الاكاديمي لأحد مؤلفات شيخنا المرحوم الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، أحد أهم أعلام العربية في عصره وصاحب المؤلفات الكثيرة المهمة في اللغة العربية. رحمه الله وجزاه عن عمله هذا خير الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين.

المصادر والمراجع

- ابراهيم السامرائي علامة العربية الكبير والباحث الحجة – أحمد العلاونة – ط١ – دار القلم – دمشق – ٢٠٠١م.
- البخلاء: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: تحقيق : أحمد العوامري بك – علي الجارم بك: دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م
- تاج اللغة وصحاح العربية: اسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ) – ط٥ – دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان – ٢٠٠٩م.
- تاريخ الدعوة إلى العامية وآثارها في مصر – نفوسة زكريا سعيد – ط١ – دار نشر الثقافة – الاسكندرية – ١٩٦٤م.
- الفصحى لغة القران: أنور الجندي – الموسوعة الاسلامية العربية – ط١ – دار الكتاب اللبناني – مكتبة المدرسة – بيروت – لبنان – ١٩٨٢م.
- لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ) – دار صادر – بيروت – لبنان – ٢٠٠٠م.
- لغة الضاد في معاركها مع العامية: نصر الدين البحرة – بحث في مجلة التراث العربي – اتحاد كتاب العرب – سوريا – العدد ٧٣ – مجلد ١٩ – ١٩٩٨م.
- اللهجات العامية المحلية – العامية عاميات والوالجون حماتها أنماط – د. عدنان الخطيب – مجلة مجمع اللغة العربية – العدد ٦٦ – دمشق – ١٩٩٠م.
- معجم الفرائد: د. ابراهيم السامرائي – ط١ – مكتبة لبنان بيروت – لبنان – ١٩٨٤م.
- معجم اللغة البغدادية: الشيخ جلال الحنفي – ط١ – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٦٣م.

❖ مقدمة ابن خلدون: العلامة ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، ط١، دار يعرب، دمشق، ٢٠٠٤م.